الرسالة

(غلاطية ٢: ١٦–٢٠)

يـا إخـوةُ إذ نـعلَـمُ أنَّ الإنسـانَ لا يُـبَّررُ بـأعـمـالِ النـاموسِ بل إنَّما بـالإيمانِ بـيسوعَ المسيـحِ آمـنَّا نحن أيضـاً بـيسوعَ المسيـحِ لكي نُبرَّرَ بـالإيمانِ بـالمسيحِ لا بـأعمالِ النـاموسِ إذ لا يُبرَّرُ بـأعـمـالِ الـنـاموسِ أحدٌ من ذوي الجَسَـدِ* فــإن كـنَّـا ونـحـن طـالِـبونَ الـتبريـرَ بـالمسيحِ وُجدنا نحن أيضـاً خـطـأةً أفـيكـونُ المسيحُ إذاً خـادِمـاً لـلـخـطيئة. حـاشا* فإنّي إن عُدتُ أبني مـا قد هَــدَمتُ أجـعَـلُ نــفـسـي متعدِّياً* مُتُّ للناموسِ لكي أحـيـا لــلــه* مـعَ المسيـحِ صُـلـبتُ فـأحـيـا لا أنـا بـل المسيـحُ يـحـيـا فيَّ. ومـا لي مــن الحيـاةِ في الجسدِ أنــا أحـيـاهُ في إيمانِ ابـنِ الـلـهِ الـذي أحبَّـنـي وبـذل نـفسَـهُ عنّي.

القديس سلوان الآثوسي

في بداية العقد الخامس من القرن التاسع عشر، وفي بيئة ريفية في مقاطعة تامبوف الروسية، عاشت عائلة الصبي سمعان إيفانوفيتش أنطونوف في أجواء في غاية البساطة تظلّلها الكنيسة الأرثوذكسية ويملؤها عبق حياةٍ زراعية تكتنفها أفراح الأعياد كما في التقاليد الروسية الشعبية البهجة. يخبرنا سمعان عن والده المزارع الأمّي، الذي لم يتعلّم يومًا فكّ الحرف. يصفه بالرجل الحكيم المفعم محبةً وسلامًا. «كان أبي بسيطًا، ذا هيبة ووقار. يحبه أهل القرية ويجلّونه. كان يتلو صلاة الأبانا في الكنيسة في قداس الأحد، وكان لبساطته يخطئ في تلاوتها. لكنه كان حكيمًا مثل كبار الشيوخ والآباء الروحيين».

العدد ٢٠١٥/٣٨

الأحد ٢٠ أيلول

الأحد بعد رفع الصليب

تذكار الشهيد أفسطاثيوس وعائلته

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الخامس

ويسرد سمعان حادثة عاشها وهو بعد في الرابعة من عمره. «كان يفد على قريتنا بائع كتب متجوّل، يحمل في كيسه كتبًا من كل الأنواع. وكان أبي يحبّه ويدعوه في كل مرّة يأتي فيها إلينا لتناول الطعام في منزلنا. فيتحلق سائر أفراد العائلة حوله لسماع كلامه والاستفادة من حكمته. أبي كان يقول لنا إن هذا الإنسان ناجحٌ ينبغي لنا أن نتعلّم من كلماته. وقد سألتُ أبي ذات يوم: لماذا تقول لي أنه ينبغي لنا أن نصلّي مع أن الله ليس موجودًا؟ فتعجّب للسؤال ولهذه الفكرة الملحدة وقال: ومن قال لك إن الله غير موجود؟ أجبته قائلاً: بائع الكتب الذي تقول لنا إنه رجل ناجح! فقال لي بحزن: كنت أظنّ أنه رجل ناجح، ولكن تبيّن لي الآن أنه أفشل إنسان على وجه الأرض! إسمع يا بني إن الله موجود ولا شك في وجوده! فقلت في نفسي: إن كان الله موجودًا، فسوف أبحث عنه حين أكبر. سأبحث عنه حتى أجده. ولو سافرت إلى آخر المحيط، وإلى ما وراء البحار»

هذا ما حصل بالفعل لأننا نعرف أن سمعان حين بات شابًّا قويًّا وأنهى خدمته العسكرية، توجه إلى «ما وراء البحار» إلى الجبل المقدس آثوس، إلى الدير الروسي دير القديس بندلايمون، حيث قضى بقية عمره في الصلاة والصوم. فكان يقف طوال الليل منتصبًا في صلاة يقظة ملتمسًا وجه الرب ورحمته وحضوره. وكان يتعرّض لتجارب ومحاربات شيطانية في غاية القسوة. لكنه ثبت في الجهاد

ووجد من تاقت إليه نفسه، واستقرّ في سلام إلهي وصلاة متّقدة حتى توفي العام ١٩٣٨. أعلنت الكنيسة الأرثوذكسية قداسته العام ١٩٨٦، ووُضع السراج على المنارة، وبات الراهب سلوان (اسمه الرهباني) قديسًا كبيًرا نعيّد له في الخامس والعشرين من شهر أيلول.

ترك لنا القديس سلوان بعض الأوراق التي دوّن فيها خواطر وجدانية تختصر خبرته للحياة الروحية والعيش مع الله. يقول على سبيل المثال: «إن الروح القدس هو حب ورقّة وحنان للنفس، للعقل والجسد. إن الذي عرف الله بالروح القدس يغرق بفيض النعمة نهاراً وليلاً، فيمتدّ صوب الإله الحي، لأن رحمة الله واسعة وحنانه وحبه عظيمان. وإذ تفقد النفس النعمة، تتنهد بالدموع طالبة رجوع الروح القدس إليها من جديد».

يقول القديس: «أتوق إليك يا سيدي وأفتش عنك بدموع. كيف لي أن لا أرومك؟ أنت أعطيتني أن أعرفك بالروح القدس، وهذه المعرفة الإلهية تشدّ روحي للبحث عنك نائحة».

يتمحور تعليمه حول اختبار عذوبة محبة الله في التواضع. الإنسان مدعو من خلال التوبة المتواضعة ومحبة الأعداء أن يعرف الله ويلتصق به. «أين أنت يا سيّد؟ أين أنت يا نوري؟ لماذا أشحت بوجهك عني؟ منذ زمان بعيد تفتقدك روحي ولا تراك، تنزع إليك، تطلبك دامعة. أين سيّدي؟ لماذا لا تعاينه روحي بعد؟ ماذا يعيق سكناك فيّ؟... لأني لا أمتلك تواضع المسيح ولا محبة الأعداء».

يشدّد القديس سلوان على أن محبة الإنسان لأعدائه، التي يعلّمنا إياها الرب يسوع، هي العلامة الفارقة التي تؤكد أن الإنسان مسيحي حقيقي، وأنه يعرف الرب يسوع ويحيا في شركة روحه القدوس فيتحرّر من الأهواء والتجارب. «الله هو الحب الأزلي، الحب المستحال وصفه... لكن الإنسان الذي لم يعرف الله بالروح القدس لا يستطيع طلبه بدموع، فتهاجمه الأهواء بدون هوادة، وتنشغل روحه بالاهتمامات الدنيوية فلا يستطيع بلوغ التأمل الإلهي ولا معرفة يسوع المسيح. أما نحن فنعرف يسوع المسيح بالروح القدس».

الروح القدس يهب الإنسان عذوبة محبة الله ويحرك فيه مشاعر التوبة الحقيقية، فيصير الشوق والتنهد في حياة الإنسان منهاجًا للتوبة وسبيلاً للتنقية والرجوع إلى محبة الله والاتحاد به. يشعر الإنسان بمقدار عدم استحقاقه لمحبة الله فتستحيل الصلاة ينبوع دموع دائم التدفق في قلب الإنسان يغذي حياته ويحيي عظامه البالية، ولا تعود التجارب تقوى على الإنسان الملتجئ إلى الله. «إن روحي تكتئب إليك يا سيدي، وأطلبك بدموع! كيف لا أبحث عنه؟ حين كنت معه، كانت روحي فرحة مستكينة والعدو لم يكن له أي وصول إليّ، لكن الآن، أحكم الروح الشرير علي قبضته ليضرم نفسي ويعذبها. لهذا تتوق روحي لأن تتحد مع السيد. نفسي تنشدّ إلى الله، ولا شيء في العالم يفرحني. لا شيء يعزيني أبداً، إن روحي تشتاق مجدداً لأن تعاين السيد، وأن تمتلئ منه. لا أستطيع أن أنساه لحظة واحدة، ونفسي تجاهد بتعب في اتباعه. حزني عظيم جداً، لذلك أبكي بشهيق وبزفرات: ترأف بي، يا الله، تحنّن على عبدك الساقط».

يدعونا القديس سلوان إلى التماس التعزية الإلهية عبر التوجه إلى الله بالتوبة في صلاة متواضعة وفي محبة لكل الناس وخاصة الأعداء. وهو يختصر لنا درب التوبة

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ مَن أراد أن يتبعَني فليكفُر بنفسِه ويحمِل صليبَهُ ويتبَعْني. لأنَّ من أراد أن يخلِّص نفسَهُ يُهلكها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيلِ يخلِّصها* فإنَّه ماذا ينتَفِعُ الإنسانُ لو ربح العالَمَ كلَّهُ وخسر نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الإنسانُ فداءً عن نفسهِ* لأنَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسق الخاطئ يستحي به ابنُ البشر متى أتى في مجد أبيهِ مع الملائكة القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قوماً مِنَ القائمينَ ههنا لا يذوقونَ الموتَ حتى يَروا ملكوتَ اللهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

«فإنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه».

عندما يرى الواحد، فكره ينزع إلى الغنى وإلى

القنية ليعلم ان هذا الفكر لم يـزل جسديـاً. أمّـا الـذي يتعلّق بالصليب فلا يتحرّك فكره إلى مثل هذه الأمور. لذلك نـحـن بـحاجة إلى أن نُـصـعـد فـكـرنـا إلى عـلـوّ الصليب حتى لا ينفصل عن المسيح المصلوب عليه، وأن نضـع رجـاءنـا عـلـى المسـيـح مـبدع الـكـون ومغذّيه، وننقطع عن كل ربح يأتي ظلماً. أما الذي يأتي عن حق فلا نتعلّق به بل نستخدمه حسناً ونسعى لنشرك به الفقراء على قدر إمكاننا.

تأمر الوصية بأن لا نكون جسديين وبأن نحمل صليبنا. ان اصدقاء الله العائشين بموجب وصاياه يملكون جسداً لكنهم لا يتعلّقون به بل يستخدمونه مشاركاً لما تحتاجه أنفسهم وهم على كل حال مستعدّون لتسليمه للموت من أجل ذلك. والأمر هو كذلك في شأن الممتلكات المادية.

إن رأى أحد أن فكره ينزع إلى الزنى فليعلم انه لم يصلب بعد ذاته. وكيف يفعل ذلك؟ ليهرب من مشاهدة النساء الفضولية ومن الحديث الباطل معهنّ، بهذه الصورة البسيطة: «إن آدم فقد الفردوس الأرضي وبدأ يبحث عنه باكياً: يا فردوسي العجيب والمذهل! لكن السيد، بعظيم حبه على الصليب، فتح له باب فردوس آخر، أفضل من الأول، فردوساً في السماوات حيث يشرق نور الثالوث القدوس. ونحن، بماذا نكافئ الرب عن كل ما أعطانا؟»

سِفْر الرؤيا

تعيّد كنيستنا المقدّسة في السادس والعشرين من شهر أيلول لرقاد القدّيس يوحنّا الرّسول والتّلميذ الحبيب والإنجيليّ واللاهوتيّ والبتول. كان الإنجيليّ يوحنّا ابن زبدى وسالومة حاملة الطّيب (إبنة يوسف الخطيب) وأخا يعقوب. نُفِيَ إلى جزيرة باتموس على عهد الإمبراطور دومنينوس (٩٠–٩٥ م.)، وهناك كتب سفر الرؤيا، آخر أسفار الكتاب المقدّس.

ينتمي سفر الرؤيا إلى الأدب الرؤيويّ الذي نجده في عدّة أماكن من الكتاب المقدّس. يتميّز هذا الأدب بأسلوب تعبيريّ مُتقَن، لذلك لا يستطيع فهمه إلاّ مَن هم معنيّون به بشكل خاصّ، الأمر الّذي يجعله غامضًا على الكثيرين بسبب ما قد يحتويه من رموز تخصّ جماعة دون أُخرى (كحالنا أمام سفر الرؤيا الذي لا يمكننا فهمه من دون وجود مَن يفسّره لنا). أيضًا، من ميزات هذا الأدب أنّه يجعل ما كُتِبَ في زمن معيّن يطبّق في كل وقت، أي إنّه يخاطب الأشخاص الّذين يقرأونه في أي زمان فيشعرون وكأنّه يتكلّم على حالهم الحاضرة. مثلاً: «...وتعجّبت كلّ الأرض وراء الوحش، وسجدوا للتنّين الّذي أعطى السّلطان للوحش، وسجدوا للوحش قائلين: مَن هو مثل الوحش؟! مَن يستطيع أن يحاربه؟!... ففتح فمه بالتّجديف على الله ليجدّف على اسمه وعلى مسكنه وعلى السّاكنين في السّماء، وأُعطي أن يصنع حربًا مع القدّيسين ويغلبهم، وأُعطي سلطانًا على كلّ قبيلةٍ ولسان وأمّة، فيسجد له جميع السّاكنين على الأرض، الّذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة الخروف الّذي ذُبِحَ...» (رؤ ١٣: ١–٩). إذا قُرئ هذا المقطع على ضوء زمن كتابته نفهم كم أنّ الشرّ تفشّى على الأرض وكيف ابتعد النّاس عن الله وكم كان المسيحيّون مضطَهَدين؛ وإذا قرأناه اليوم تصلنا الرّسالة نفسها، لكن لا الرّسالة التّاريخيّة، أي ما حصل مع المسيحيّين في ذلك الحين، بل الرّسالة الحاليّة أي كيف أنّ الشرّ متفشٍّ أيضًا على الأرض وكيف يُقتَل أناسٌ فقط لأنّهم أتباع الخروف، أي المسيح، وكيف أصبح التنّين، أي الشيطان، متسلّطًا على كلّ الأرض وهو يرسل الوحش، أي كلّ مَن يتبعه في شرّه، ليحاول إبادة كلّ أتباع المسيح عن وجه الأرض، و«هنا صبر القدّيسين وإيمانهم» (رؤ ١٣: ١٠)، أي «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت ٢٤: ١٣)؛ من هنا نرى أنّ سفر الرؤيا كان يحاول تذكير أتباع «الخروف» بما قاله قبلاً (في هذه الحالة نجد التّذكير بقول الربّ في إنجيل متّى) حتّى لا يضعفوا تحت نير الاضطهادات بل ليتقوّوا مجدّدًا بالكلمة المحيية.

يتميّز الأدب الرؤيويّ، وبخاصّة سفر الرّؤيا الّذي هو موضع حديثنا، بأنّه يُكتب بصيغة المستقبل، في حين أنّه يصف حالةً حاضرة، ذلك بغية تشديد مَن هم تحت وطأة الألم من خلال تذكيرهم بأنّهم سيرثون ملكوت الله في حال صبروا، وأنّهم سينالون الأكاليل من لدن الربّ (وهذا من الممكن وجوده في

كتابات كثيرة معاصرة لأدباء كبار كتبوا خلال الحروب أو الاضطهادات التي تعرّضت لها عدّة بلدان مسيحيّة).

علينا ألاّ نمزج بين الأدب النبويّ والأدب الرؤيويّ، إذ إنّ الأوّل هدفه إيصال رسالة الربّ إلى شعبه وإعادته من الضلال إلى الطّريق المستقيم، في حين أنّ الثاني مثلما سبق وقلنا هو لتذكير الشعب بقول الربّ من أجل التشديد في زمن المِحَن، كما للتذكير بأنّ المجيء الثاني قريب (من دون أيّ تحديد لزمان أو مكان)، وفي ذلك الحين سيُجازى كُلٌّ حسب أفعاله.

إضافةً إلى كلّ ذلك، علينا أن نتذكّر دائمًا أنّ قراءة الأدب الرؤيويّ لا تكون حرفيّة، وإلاّ وقعنا في سوء الفهم أو عدمِه، لذلك، علينا أن نفكّ شيفرة الرّموز التي يحتويها النصّ الرؤيويّ حتّى نصل إلى الرسالة الواضحة. مثلًا، نجد الإنجيليّ يوحنّا يخاطب «ملاك كنيسة...»، وهنا لا يعني أنّه يتكلّم مع الملائكة، بل إنّه يخاطب أساقفة الكنائس (ونحن لا نزال ندعو الأسقف ملاكًا لأبرشيّته كونه يحرسها من الذّئاب الخاطفة). مَثَل آخر نورده هو رقم الوحش (٦٦٦) الوارد في (رؤ ١٣: ١٨) والّذي لا نزال نستخدمه للدّلالة إلى الشيطان؛ إنّ هذا الرّقم بحسب بعض العلماء الكتابيّين هو مجموع أعداد أحرف اسم «نيرون قيصر» (بحسب علم الأرقام، حيث يكون لكلّ حرف من الأبجديّة قيمة رقميّة)، وقد اعتبر المسيحيّون أنّه الوحش لأنّه كان السّبب في اندلاع الاضطهادات ضدّهم بحرقه روما واتّهامهم بالأمر. إضافةً إلى ذلك فإنّ الرّقم ٦ هو رقم ناقص إذ إنّه ليس الرّقم ٥ (النّاموس) ولا الرّقم ٧ (الكمال)، وتاليًا التّشديد عليه بالتّثليث (٦٦٦) هو للتأكيد على شدّة نقص هذا الوحش وعدم كماله على عكس الله الكامل.

في النّهاية، علينا دائمًا أن نبحث ونتعمّق في البحث من أجل الوصول إلى الحقيقة، والحقيقة هي الربّ. لا نعلقنَّ عند الرّموز والحروف، بل دعونا ننطلق منها إلى ما هو أبعد، وهكذا نكون قد وضعنا يدنا على المحراث.

مدرسة التنشئة اللاهوتية والموسيقى الكنسيَّة

تتابع مدرسة القديس كوارتس للتنشئة اللاهوتية ومدرسة القديس رومانوس المرنِّم للموسيقى الكنسيَّة وجوقة الأولاد التسجيل للعام الدراسي الجديد. فعلى كل مَن يرغب من أبنائنا المؤمنين التعمّق في المعرفة والإيمان الأرثوذكسيين أو خدمة كنيسة الرب عبر الترتيل، الإتصال بالرقم ٠١/٢٠٣٩٢٤ للإستعلام والتسجيل.

محاضرة

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس وبدعوة من لجنة قدامى مدرسة التنشئة اللاهوتية، ندعوكم للمشاركة في محاضرة حول «الصليب في حياة المؤمن» يلقيها قدس الأب بولس وهبه عند السابعة من مساء الإثنين ٢٨ أيلول ٢٠١٥ في المركز الرعائي الشامل.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

ليقلّل من الأطعمة التي تغذّي مثل هذا الهوى وليبتعد عن الشرب المفرط، عن النهم، عن ثقل النوم، وليمزج التواضع مع مثل هذه الجهادات مستغيثاً بالله بانسحاق قلب من أجل مقاومة هذا الهوى. عند ذلك يقول مع المزمور «رأيت الشرير معتزاً متشامخاً مثل أرز لبنان ثم عبرت عنه عن طريق الإمساك فلم يكن هناك وبحثت عنه عن طريق الصلاة بتواضع فلم يوجد له مكان» (٣٦: ٣٥-٣٦).

إن كان يزعجنا حبّ المجد الباطل لنتذكّر قول السيّد في الإنجيل لا تفتش في الاجتماعات على أن تتقدَّم على الآخرين، مارس فضائلك في الخفية ناظراً إلى أجر الله «وأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية» (متى ٦: ٦). وإن قطعت كل شهوة خارجية ولم يزل الفكر الداخلي يزعجك فلا تخف لأن ذلك يمنح لك الأكاليل كونه إزعاجاً باطلاً يفشل بجهادك بحسب الله.

القديس غريغوريوس بالاماس